الفصل الخامس

الدين والعلم

أؤكد للقارىء الكريم أن هذا الفصل شديد الصدق والحساسية معا ، ولقد فكرت كثيرا ألا أورده ، لكن ذلك لا يكون إلا على حساب الصدق ، وخوفا من الحساسية . والحساسية هنا لا تخصنى ، وإن كانت تتعلق بطرق الطرح الثقافى للموضوع . أما بالنسبة لى ، فقد شاء الله ألا تتذبذب خياراتى منذ بداية الوعى ، وأطمع فى كرمه وأدعوه ألا تتذبذب حتى نهاية العمر . لقد آمنت بالإسلام ، وآمنت بالعلم كمكون عضوى من إيمانى بالإسلام ، لكن الطرح الثقافى ، مهما كان الإنسجام الداخلى ، ليس بهذه البساطة كما ذكرت . إننى أورد هنا مقالات ثلاث ، كتب على مدى يزيد على العشرة سنوات . أولاها كانت إحتفالاً بالقرن الهجرى الجديد ، وإن كانت قد نشرت بعد ذلك بسنوات عديدة (١٩٨٥) ، والثانية كتبت منذ عامين ، بعد سنوات من الإهتمام بالفكر المستقبلى ، والثالثة تكتب فى الساعات الأخيرة من عام ١٩٩٢ ، مواكبة لكتابة هذه المقدمة ، فى محاولة للنقد الذاتى ، لما سبق أن طرحته .

١ـ القرآن والعلم : قضية تستحق الحسم

٢ـ الإسلام والمستقبلية

٣ـ فصل المقال فى التجافى والوصال ؟

obeikandl.com

١ ـ القرآن والعلم :
قضية تستحق الحسم

منذ عدة سنوات شاء الله لنا ان نشهد مطلع القرن الخامس عشر ، وان يشهده علينا . فى ذلك الوقت سألت نفسى عما أتمنى أن يتحقق للاسلام والمسلمين فى القرن الجديد ، وتدافعت إلى ذهنى أفكار كثيرة أملتها الأوضاع المتردية فى العالم الإسلامى .

ورغم شراسة الأزمات الموجودة فى الأوضاع الاقتصادية والسياسية والعسكرية ، الا أننى كنت أكرر لنفسى دائماً أن أزمة العقيدة هى بيت الداء . لقد نجح أعداء الإسلام فى فصله عن العصر ، وكثيراً ما جعلوا ذلك يتم بأيدى أبنائه ، متصورين أنهم إنما يفعلون ذلك حرصاً عليه .

هل هناك ما هو أكثر مدعاة للأسف والشعور بالهوان ؟ ألم تر مسلماً يخاطب السوبرمان الأوروبى أو الأمريكى ، محاولاً تبرير ما جعلوه يظن أنه عورات فى دينه ؟ فعند من لا يفهم الإسلام ، الطلاق قسوة وهمجية . . . أما الزنا والشذوذ فحرية شخصية ، وتعدد الزوجات شهوانية ظالمة . . أما بيوت الدعارة فتجارة عالمية مربحة لا تخلو من الفن والمتعة ، والاقتصاد غير الربوى فكرة غير عملية . . . أما تراكم الديون العالمية وفوائدها فسياسة دولية راقية ،

والحدود تخلف مرفوض . . . أما انفلات العنف والجريمة فاثار جانبية للتقدم الرائع ، وغزوات الدفاع عن العقيدة قهر وانتشار بالسيف . . . أما الحملات الاستعمارية فرسالة حضارة . والخلاصة عندهم أن الإسلام قد حمل فى طياته بذور تأخر المسلمين ، التى ظهرت آثارها فى عالم اليوم . ومن أوضح آثار التأخر وأخطرها انفصال المسلمين عن تيار التقدم فى مجالات العلم والتكنولوجيا ، واقتصار علاقتهم بهذا التيار على الاستيراد والتبعية .

أيمكن ان يكون الإسلام مسئولاً عن هذا التأخر ؟

تعالوا نحتكم إلى كتاب الله لنرى موقف القرآن من العلم والتقدم العلمى . . . بل ومن آخر منجزات هذا التقدم . فالقضية التى سنتعرض لها هنا هى علاقة القرآن الكريم ، كتاب الله المحفوظ الذى لا يأتيه الباطل أبداً . . بالعلم الذى مكننا به الله ان ننظر فى الآفاق وفى أنفسنا ، ولكنه تحول للأسف عند البعض إلى معبود يحمدونه ويثنون على تقدمه فى صلواتهم التى تسبق القاءهم للقنابل الذرية أو اقرارهم لخطط حرب الكواكب ، باعتبارهم من ثمار هذا التقدم .

فى السنوات الأخيرة ، نوقشت قضية القرآن والعلم من زوايا مختلفة . وانعقدت المؤتمرات لهذا الغرض ، ومن بينها ما يخص الاعجاز الطبى للقرآن ، لذلك ظننت ان الأمر قد حسم لصالح الاجتهاد الجاد ، وصرفت النظر عن الكتابة فى هذا الموضوع الهام ، مكتفياً بتتبع نتائج هذه المؤتمرات* ، لكننا

* لا بد وأن أعترف بما كان لدى من تحفظات قديمة على بعض نتائج وتوصيات مثل هذه المؤتمرات ، وعلى مسارها اللاحق . وهذا ما قد نتطرق إليه فى المقال الأخير .

نجد من يشكك فى هذا الاتجاه برمته ، ويتهمه بلوى الحقائق وعدم الجدية واضاعة الوقت . لذلك فاننى أكتب مقالى هذا ، ليس دفاعاً عن القائمين بهذا العمل الكبير ، لأنهم قادرون بحمد الله على الدفاع عن أنفسهم ، ولأن الله يدافع عن الذين آمنوا .

ولست أكتب أيضاً خوفاً على هذا الاتجاه النافع ، لأن الله قد قرر ان ما ينفع الناس سيبقى فى الأرض . انما أكتب مقالى لاعرض لمن لم يتابع هذا الموضوع من قبل وبالذات الشباب الذى يتفتح وعيه على كل قضايا عصره ، صورة مختصرة له ، ولأن الدفاع عما يراه المرء حقاً شرف لا يجب أن ينكص عن نيله أحد ، وواجب لا يتخلى عنه مسلم أبداً . ولا بد من أن نقرر هنا أن الأمر لا يخلو من العديد من المشكلات والعقبات ، لكنها تتضاءل أمام الفائدة المرجوة من ربط المسلم بالعصر الذى يعيش فيه . . عصر العلم . وان كنت قد أطلت عامداً فى المقدمة ، الا أننى سأحاول أن ألتزم بما يمكن أن يسمى بعلمية العرض ، بما تتطلبه من اختصار ووضوح وحيادية ، وذلك بعد أن أفرغت فى هذه المقدمة « شحنة » الانفعال التى قد تصبغ معالجة بعضنا للمواضيع ذات العلاقة بالدين ، مع المحافظة على شحنة الحماسة اللازمة عند التصدى لهذا الموضوع الهام .

● أبعاد المشكلة :

ينقسم الرافضون لمعالجة الآيات ذات الدلالة العلمية فى القرآن على ضوء المعارف الحديثة إلى ثلاث فئات . الفئة الأولى ترفض الدين ، وتستعلى بالعلم المبنى على التجربة ، باعتباره الطريق الوحيد إلى الحقيقة ، أما الفئة الثانية ،

فهى أقل غلواً ، حيث تكتفى بتقرير الفصل الكامل بين الدين كعلاقة شخصية بين الانسان وخالقه ، والعلم كواحد من أهم أوجه النشاط البشرى . ولست أدرى مدى دراية أفراد هذه الفئة بعواقب هذا المنطلق ، لكنى أؤكد لهم أن تربية الأجيال الجديدة على أساسه قد تؤدى فى القريب العاجل إلى الانضمام إلى الفئة الأولى ، لأن ما يفعلونه هو جزء من مخطط عزل الدين عن الحياة ، باعتباره مرحلة فى تاريخ البشرية ، أدت دورها وانتهت ، وصارت مصدراً للفنون والأقاصيص . فهل هذا ما يريدون حقاً ؟ الواقع أن الحوار مع هاتين الفئتين يخرج بنا عن أهداف المقال الحالى ، ولعل لنا عودة إليه فى وقت لاحق ان شاء الله . كما أن الساحة تمتلىء بكثير من الاجتهادات الرائعة فى مجاله ، لمن يريد الاستزادة . ما يهمنا هنا هو الفئة الثالثة التى تتريث فى الموافقة حباً وإجلالاً لكلام الله . هذه الفئة الفاضلة تعرض أبعاد المشكلة فى مجموعة من الأسئلة المحددة :

١ ـ الى أى مدى يمكن النظر في النصوص القرآنية ومحاولة تفسيرها على ضوء ما توصل إليه العلم من اكتشافات وحقائق ؟

٢ ـ كيف يمكن باستخدام معطيات العلم القاصرة والمتغيرة ، وقدرات التعبير البشرىء المحدودة ، تفسير لغة القرآن بشموليتها وأعجازها وظاهرها وباطنها ؟

٣ ـ ما أهمية ذلك لحاضر المسلمين ومستقبلهم ؟ وماذا خسروا من جراء الرفض والتسويف ؟

٤ ـ إذا ما اتفقنا على أهمية هذا العمل ، فما هو المنهاج السليم الذى لا ينحرف بنا عن جادة السبيل ؟

إذا كانت هذه الأسئلة قد نجحت فى عرض أبعاد المشكلة ، فلا بد وأننا نكون قد لاحظنا انها باختصار شديد مشكلة تفسير ، وأن الهدف منها هو ربط الدين بحياة الانسان ومستقبله ، وككل مشكلة هامة ، فانها تستحق كل جهد فى سبيل حلها ، إذا ما استيقنا فعلاً من ضرورة الحل . لذلك ، أفضل أن نناقش أولاً هذه الضرورة .

● ضرورة الحل :

هل يحق لنا إذا ما سلمنا بصعوبة أو حساسية مشكلة ما أن نتركها بلا حل ؟ هذا يتوقف بالطبع على مدى أهميتها بالنسبة لنا . ومشكلة القرآن والعلم هى احدى مكونات قضية أعم وأشمل ، هى قضية الدين والحياة . وهى على ذلك ليست من المشكلات القابلة للاهمال أو الارجاء ، فنحن نعيش فى زمن يوصف بما تم فيه من منجزات علمية (عصر الذرة أو الفضاء أو الطاقة أو المعلوماتية أو الهندسية الوراثية ... إلخ) . ويمكننا مع توخى وجهة النظر الإسلامية البحتة ، أن نلخص ضرورات التعرض لهذه المشكلة فيما يلى من نقاط :

١ ـ يرى المتصفح لكتاب الله الكريم ان الآيات الداعية إلى التدبر فى مخلوقاته تزيد عدداً عن آيات العبادات والمعاملات ، فلماذا تفرد الدراسات الفقهية المتعمقة دون اعتراض أو رفض لبعض الكتاب ، وتحجر أو يقلل من جدواها بالنسبة للبعض الآخر ؟

٢ ـ العلم فى كتاب الله وفى سنة رسوله ﷺ يعد دليل الايمان والداعى إليه ، بل ان العلم والايمان يأتيان مقترنين متعاطفين ، ولم يأتيا متضادين أبداً وأزيد من ذلك نجد أن كلمة علم ومشتقاتها قد ذكرت فى القرآن مئات المرات أما عن المكانة الرفيعة للعلماء ، بل وطالبى العلم ، فحدث ولا حرج . إذا كان هذا هو الحال بالنسبة لمكانة العلم والعلماء فى الرسالة المحمدية ، ألا يصح أن نحتفى بالآيات المتعلقة بالعلوم المادية ، ونعرض عليها معارفنا ونظرياتنا فى عالم اليوم ؟ يجب أن نفعل ذلك دون وجل ، فالعلم الحق كان وسيكون دائماً داعية للايمان . . . وهو داعية تشتد الحاجة إليه فى هذا الزمان .

٣ ـ يواجه الايمان اليوم حرباً ضروشا من قوى الالحاد . ويجب أن نعترف بان سلاح العلم يستخدم فى هذه الحرب بشراسة وكفاءة . وهنا نسأل ، كيف يرتاح الرافضون والمتشككون فى جدوى التعمق فى موضوع القرآن والعلم لموقفهم بينما يشهر أعداء الإسلام فى وجهه نفس السلاح ؟ كيف يطاوعهم حسهم الدينى على اهمال هذا العمل ، بل والتصدى بقسوة لمن يريد القيام به ؟ ألم يأتهم نبأ الدجال الذى ظن أنه وجد ضالته فى قوله تعالى ﴿ **يخرج الحى من الميت** ﴾ ، فأتى بالميكروسكوب والسائل المنوى ليثبت بحركة الحيوانات المنوية كذب القرآن ؟

كبرت كلمة تخرج من أفواههم ، فنحن نعلم ما فى هذا القول من زيف واعتراض . ولكن ، هل نحن واثقون أن كل المسلمين ، فى مشارق الأرض ومغاربها ، ليسوا فى حاجة إلى مواجهة أمثال هذا النموذج القديم من الاستخدام المنحرف للعلم فى محاربة الإسلام ؟ ألا يحتاج الشباب المنفتح على

تيارات الفكر المختلفة إلى سلاح المواجهة ؟ أهنالك ضرورة أكبر من ضرورة الدفاع عن العقيدة ؟

٤ ـ يمكن ان يضاف إلى هذه الضرورات ضرورة مستحدثة يفرضها التقدم المذهل فى مختلف العلوم الكونية والطبيعية . يجب استنباط رأى الدين فى ملكية واستغلال الفضاء ، وفى الممارسات الطبية المختلفة كالاخصاب خارج الرحم ونقل الأنسجة والأعضاء والهندسة الوراثية ، بل وفى امكانية انتاج نسخ متماثلة من الشخص الواحد ، كما تم فى الضفادع والفئران .

ويجب أيضاً أخذ الرأى فى موضوع الكيماويات التى تؤثر على سلوك الفرد ومشاعره ، إلى أى حد يمكن أن نستخدمها لتوجيه احساسه بالراحة أو النشوة أو التسليم ؟ هذه النواحى الهامة وغيرها ، التى أنجزها العلم أو اقترب من أنجازها ، ألا يصح أن ندرسها بمنظور إسلامى ، بدلاً من الوقوف مكتوفى الأيدى ، والكل من حولنا يسابق الريح فى تقييم كل أوجه التقدم العلمى ، ومحاولة الاستفادة منها ؟ أن المؤتمرات تعقد باستمرار فى كل بلدان العالم المتقدم لدراسة الآثار الاجتماعية للتقدم العلمى ويشارك فيها علماء الدين مع علماء الاجتماع والتربية والسياسة ، حيث يناقشون علماء الفضاء والحياة وغير ذلك من المعارف فى تفاصيل ما أحرزوه من تقدم ، بل وفى مدى حريتهم فى الاستمرار فى البحوث محتملة الخطورة . أين المسلمون من كل هذا ؟

• منهاج الحل :

أرجو أن يكون العرض السابق قد نجح فى توضيح أبعاد وأهمية ومدى تشعب مشكلة القرآن والعلم كأحد جوانب مشكلة أعم وأكبر ، أعنى مشكلة الدين والحياة ، وفى بيان انها باب كبير للاجتهاد ، وان شئنا الدقة لوصفناها بانها باب كبير للجهاد ، وصدقونى ، ليس هنالك من هم أقدر من المسلمين المسلحين بكتاب الله المحفوظ على هذا الجهاد . والغاية المباشرة لهذا الجهاد ، هى أن نتبين أوجه الاعجاز العلمى فى القرآن الكريم ، الذى يعد بالنسبة للمسلم الصادق الايمان قرة العين ، وشفاء النفس ، وربيع الحياة كلها .

وما دمنا نناقش موضوع الدلالات العلمية فى آيات القرآن فى ضوء المعارف الحديثة ، فلا بد وان نستنتج أن المشكلة تعد مشكلة تفسير بالدرجة الأولى . وكم أسعدنا ما سمعناه عن تشكيل اللجان ، وما نراه من مؤتمرات تبحث فى موضوع الاعجاز العلمى للقرآن ، بل اننا نطمع فى المزيد ، على أن يراعى فى هذه الأنشطة المخلصة ما يلى :

١ ـ ان التشعب والتخصص باعد بيننا وبين نماذج العلماء الموسوعيين ، الذين كانت تحق لهم الفتيا فى أمور العلم والدين . لذلك يجب أن تكون هنالك فترة كافية لتبادل المعارف والآراء بين علماء الدين والمتخصصين فى مختلف العلوم الأخرى ، بدرجة تسمح بوضوح الرؤية لدى الفريقين ، وتسهل الوصول إلى فهم مشترك وأسس عامة ، لكيفية عرض المعارف العلمية الحديثة على آيات القرآن الكريم ، وليس العكس .

٢ ـ عندما أذكر أن المعارف الحديثة تعرض على آيات القرآن ، وليس العكس ، فانى أعنى رفض المنطلق الخاطىء الذى يتبعه البعض عندما يتصورون صلاحية بعض المعطيات العلمية الجزئية ، القابلة للتصحيح والتعديل ، كبرهان على صحة كتاب الله . هذه سقطة كبيرة ، وان حسنت النية ، وهى تكمن وراء رفض الكثيرين لمحاولات التفسير العلمى ، وان كنا نرى أن رفض طريقة خاطئة للمعالجة لا تستدعى رفض الاتجاه ككل .

٣ ـ بما أن المشكلة تفسيرية ، فلا بد وأن يكون لعلماء اللغة عموماً ، وللمتخصصين فى التفسير خصوصاً ، دورهم البارز فى الأنشطة السابقة .

٤ ـ يجب الاستفادة بكل ما هو جاد ومخلص فى الاجتهادات السابقة ، قديمها وحديثها ، فهذه هى الأرضية الصلبة التى تبنى عليها آمال المستقبل .

لقد عمدت إلى ذكر النقاط السابقة ، التى لا أظن أنها قد غابت عن ذهن القائمين على أمر اللجان والندوات المعنية ، وذلك استكمالاً للموضوع ، وتأكيداً للأهمية . وما نؤمن به سلفا ، هو أن القرآن لن يتعارض مع حقيقة علمية ثابتة ، لأن هذه الحقائق هى سنن الله فى خلقه ، وهو نفسه ـ تبارك وتعالى ـ الذى أنزل القرآن على نبى الإسلام ، فكيف يمكن أن يوجد التعارض ؟ أما بالنسبة للنظريات العلمية العديدة ، فلنا أن نرفض ما يخالف صريح القرآن اما ما يوافق ظاهر القرآن فهو محتمل الصواب ، وأقول ظاهر القرآن لأن الله أدرى بمراده . هذا هو المنهج البسيط الذى نتصوره ، وفى هذا فليجتهد المجتهدون ، وما أكثر ما ينتظرهم من خير .

ومن المنطقى أن يمتد أهتمامنا إلى كل ما يتعلق بالإسلام والعلم ، وفى هذا الصدد ، من المفيد أن نشير إلى أهمية المواضيع الآتية :ـ

١ ـ الدراسة المتأنية لأوجه التقدم العلمى الضخمة التى تعرضنا لها سابقاً ، والتى سيمتد تأثيرها ، لا ليشمل كل ما يحيط بالانسان فقط ، ولكن ليشمل خصائصه وقدراته . ان رأى الإسلام فى كل ذلك لا يتأتى ألا بمدارسة هذه الأمور بواسطة أهل العلم والدين معاً ، حتى لا يحدث الشطط الذى نشاهده عند تعرض أى الفريقين لموضوع يجب أن يدلى الفريق الآخر فيه بدلوه ، فتكون الصورة غير مكتملة ، وأحياناً غير مقبولة . . . ناهيك عن بهلوانيات الدخلاء والمرتزقة ، الذين يجب أن تخلو هذه الساحة الجادة منهم تماماً .

٢ ـ العمل على أبراز المقدرة التنبؤية العظيمة للقرآن الكريم والتعاليم الإسلامية ، والتى لا يمتلكها الا العليم الخبير ويعطى قبسات منها لمن يشاء من عباده ، ونماذجها تمتد لتشمل مختلف العلوم الطبيعية والانسانية وغيرها .

٣ ـ الاهتمام بدراسة القرآن نفسه ككتاب معجز ، ولوضعه المتفرد باعتباره الكتاب الوحيد الذى أنزله الله تعالى وحفظه تماماً ، ووعد بحفظه إلى أن يرث الأرض ومن عليها .

حقيقة أننا نؤمن باستحالة كونه من صنع البشر ، لكن دراسة علمية لتوضيح ذلك قد تهدى من يفتح قلبه وعقله لنور الحق والايمان ، وقد تثبت ايمان الكثيرين .

وكلنا نعلم محاولات الدراسة بالحاسب الآلى وكيف اتهمها الكثيرون

بالإغراض وعدم الدقة ، ودون تطرق إلى التفاصيل نقول ان الباب لم يغلق ، ولا يجب أن يغلق أبداً . فكما أن القرآن الكريم لا تبلى جدته ، فان تناول اعجازه من زواياه المختلفة سيكون دائماً من الأمور المحببة لدى المؤمنين به .

• الهـــدف :

القرآن الكريم لا يعد مرجعاً علمياً ، كما يحلو للبعض أن يتندر عند ابداء رأيه فى موضوع القرآن والعلم ، لكنه أكبر دعوة إلى العلم عرفتها البشرية خلال تاريخها الطويل ، لذلك فهو يمتلىء بالاشارات والتنبؤات ، لا النظريات والتفاصيل .

هذه الدعوة الربانية إلى العلم لا تضع قيداً أمام عقل الانسان ، بل بالعكس تعطيه المفاتيح ليفتح ما يقابله من أبواب مغلقة . فان أخطأ فله أجر ، وأن أصاب فله أجران . لذلك فاننى أرجو أن يكون الهدف من دراسة موضوع القرآن والعلم أبعد أثراً من مجرد محاولات اكتشاف بعض كنوز هذا الكتاب الكريم ، رغم ما فى ذلك من فائدة وخير كثير .

الهدف الذى أرجوه أن نصل إلى ما يمكن أن نسميه بنظرية « الإيمان العلمى » ، وذلك لمواجهة نظرية « الالحاد العلمى » التى تشيع فى الغرب عموماً ، وفى الفكر الشيوعى بوجه خاص . هذه النظرية أثرت بشكل كبير على عقول المثقفين والعلماء فى الدول الغربية ، واختارتها الكتلة الشرقية (السابقة) كفلسفة للدولة . وهى بصورة أو بأخرى ، وراء لا أدرية الكثيرين حيث أبعدتهم عن الدين ، وشككتهم فيه ، وأن لم تنجح فى جعلهم يرتمون فى

أحضانها . وأننى بعد محاولة لدراسة ما فى الساحة من أفكار أقول ، وأشهد الله على ما أقول ، ان الفكر الإسلامى المتسلح بالقرآن الكريم ، والمستخدم بأمانة واخلاص معطيات مختلف العلوم وتاريخها وفلسفتها ، قادر تماماً على صياغة نظرية للايمان العلمى ، تدخل بالبشرية عصراً جديداً ، وتؤذن بميلاد حضارة جديدة ، لا يمكن لأى نموذج من نماذج الغد ، التى برع فى صياغتها علماء المستقبل ، الا أن يصفها بالايجابية والتقدم .

كم كنت أتمنى أن أختم مقالى بهذا الأمل الوردى . ولكن دعنى أصح من الحلم قبل أن توقظنى ، وأسألك قبل أن تسألنى : هل يقدر المسلمون ، وهم على ما هم عليه اليوم من جمود وتطرف وانقسام ، على القيام بهذا الدور الحضارى العظيم ؟ أقول كما قال الإمام : لا تحتج بالمسلمين على الإسلام . الإسلام كمبدأ وعقيدة وكتاب . . . يستطيع ، ولكن أين رجال الإسلام ؟ لننظر ماذا فعل أمثالهم فى فجر الإسلام حتى نعلم أى خسارة حاقت بنا من الابتعاد عن روح هذا الدين الحنيف ، ودعوته الفاضلة إلى العلم والعمل . أرجو الله مخالصاً أن يكون ما نراه من نشاط وصحوة ، هو بداية العودة إلى جادة الصواب . والله الموفق .

٢ ـ الإســلام والمسـتقبلية*

لا يخالجنى شك فى ان الحديث عن الآفاق المستقبلية للإسلام ، يجب ان يتطرق إلى محاولة قراءة المشروع الإسلامى فى ضوء الدراسات المستقبلية الحديثة**، ومناهجها المتعارف عليها . كما لا يخفى على أحد ، ان بعض المعالجات تقلل من شأن العناصر المستقبلية فى هذا المشروع الحضارى . وهذا هو اخر ما نحتاجه اليوم ، حيث تتم اعادة بناء العالم وتحديد ملامح نظامه الجديد ، وحيث نرى بحق ان الإسلام يمكن ان يسهم بقدر طيب فى رسم هذه الملامح والمعالم ، إذا ما أحسن أهله التعبير عن مضمونه وامكاناته « فكراً وفعلاً » وفكراً هذه تعد أضعف الإيمان !!!

والواقع ان الحديث عن الإسلام والمستقبل ، كثيراً ما يتطرق إلى الاعجاز القرآنى فى الكشف عن أحداث واكتشافات تاريخية أو علمية ، كانت فى علم

---

* كانت مصادفة سعيدة أن يوافق نشر هذا المقال بالأهرام يوم ٤/٥/ ١٩٩٠ ، إفتتاح مؤتمر يتعلق بنفس الموضوع عقد بالجزائر .

** إذا كان البعض لا يعترف بوجود « علم » للمستقبل ، فليس هنالك خلاف فى كون الدراسات المستقبلية الجادة تلتزم بمنهج العلم وأدواته .

الغيب لحظة ان نزل بها الوحى . ويشيع استخدام نفس المنهج مع أحاديث الرسول ﷺ . ويتطرق الحديث عن مستقبل الإسلام إلى كفاءة الحلول التى يقدمها للمشاكل التى تواجه البشر ، مسلمين وغير مسلمين . وأخيراً ، يركز البعض على ان الإسلام يضمن للمرء المستقبل الحقيقى فى الآخرة ، مع التهوين الواضح من شأن الدنيا . ورغم « الصدق الكامل » لكل هذه المقولات ، مع التحفظ على بعض ما يقدم من معالجات وشروح لتوضيحها ، الا انها لاتفى الأسلام حقه بالنسبة للأبعاد المستقبلية لمشروعه الحضارى ، الذى يمكن بمرونته وديناميكيته ان يقدم الكثير لعلوم ودراسات المستقبل كما يعرفها عالم اليوم ، وان يستفيد أيضاً من انجازاتها ، التى توافقه دون تعنت فى القياس والمقابلة ، ودون ان نحمل التاريخ أو النصوص ما لا يحتمل . . . فالمستقبلية لم « تشرق من الغرب » فقط ، كما يرى بعض المستشرقين والمستغربين .

● وقبل ان نحاول فى هذا المقال ان نقدم بداية موجزة ومتواضعة لعصف عقلى brain storming لموضوع « الإسلام والمستقبلية » ، نود ان نوضح غياب القدر الكافى من المضمون المستقبلى فى أغلب معالجات وشروح المقولات السابقة ، رغم اننا نكرر تسليمنا بصحتها . ان العلم الكلى لله تبارك وتعالى ، الذى يحيط بالماضى والحاضر والمستقبل ، والذى يمد به رسوله الكريم بحيث لا ينطق عن الهوى ، يمكن ان يثبت عقيدة المؤمنين ، وان يهدى اخرين ـ فمن سنا ينكر شمولية ومستقبلية العلم الالهى ؟ لكن الحديث هنا عن مستقبلية المشروع الحضارى « البشرى » الذى يقوم على هذه العقيدة

الصحيحة . أما الحديث عن كفاءة الحلول الإسلامية للمشكلات الآنية ، فتأتى أهميته من انه لا مستقبل لمن لا يستطيع الخروج من مأزق الحاضر ، ولكن يبقى الحديث عن المستقبلية غير كاف أو واف . ثم نأتى إلى أكثر « المقولات الصادقة » تعرضاً للمعالجات الخاطئة التى تدفع بالإسلام والمسلمين خارج « معادلة العصر » ، ونعنى بها التهوين من شأن الدنيا . أن بعضنا يغمز غيره بأنه « دنيوى » ، والباقى مفهوم طبعاً فى التهوين أن الدنيا دنية ، كما انها « شرك الردى وقرارة الأكدار » . لكنه لا يوضح ، أى دنيا يتصف بها هذا « الدنيوى المذموم » ؟ هل هى التى يبشر بها كتاب الله ، وتدعو اليها سنة رسوله ، ويوضحها المشروع الحضارى لديننا الحنيف ؟ انها دنيا تستحق ان نطلبها ، وان « نعمل » جاهدين على اقامتها ، لأن ذلك هو السبيل الوحيد لما نرجوه فى الآخرة . أما أن نصوغ مشروعنا الحضارى فى صيغة ماضوية تشبهاً بالسلف الصالح ، فسلفنا الصالح هو أول من ينكر علينا ذلك . لقد قدم كل منهم اجتهاده ، وقال خيارهم عمن سبقوه ، ونقوله اليوم عنهم : هم رجال ونحن رجال .

● نعود بعد ذلك إلى مستقبلية المشروع البشرى ، الذى يكلف الإسلام اتباعه به ، لأن ما يطلبه منا من عمل دنيوى طيب ، سيكون السبيل الوحيد لتحديد مكاننا على خريطة المستقبل ، كما سيكون رصيدنا الأكيد فى الآخرة . ومن المناسب فى البداية ان نحدد المؤشرات ، التى يمكن ان تبنى عليها حكمنا بمدى مستقبلية مشروع ما . يمكننا ان نختار لذلك ثلاثة مؤشرات :

(١) إلى من يتوجه هذا المشروع بالخطاب ؟

(٢) المضمون المستقبلى للمنهج الذى يرسمه المشروع لتحقيق أهدافه . ومدى اتساقه مع معطيات علوم ودراسات المستقبل المعاصرة .

(٣) الآفاق المستقبلية ، المنبنية على الواقع المعاصر لمن يقومون بتبنى هذا المشروع ، ومحاولة تحويل فكره إلى فعل .

واسمحوا لى ـ وأنا من عامة المسلمين ـ أن أحاول ذلك بالنسبة لمشروعنا الإسلامى ، وان اتطلع إلى محاولات غيرى من المهتمين بالدراسات المستقبلية :

ـ ان المشروع الإسلامى يتوجه بالخطاب إلى كل البشر فى كل زمان ومكان ، باعتباره « المشروع الخاتم » ، الذى أكمل به الله ديننا ، وهذه الرسالة التى اكتملت بها هداية السماء ، لا يمكن الا ان تكون مستقبلية بطبعها . ومن هنا تأتى مرونة « صور المستقبل » التى تقدمها ، وثراء مضمونها القادر ، ليس فقط على مسايرة عجلة التاريخ ، بل وعلى توجيهه لو أحسن توظيف عناصره المستقبلية ، التى يوضحها منهجه .

ـ يفيض منهج المشروع الإسلامى بالاشارات المستقبلية المؤكدة . فبالاضافة إلى الاقرار بحقائق التغير المستمر فى المجتمعات البشرية ، التى توضحها لنا « أحسن القصص » بصورة تجعلنا نستفيد من دروس التاريخ ونحن نستشرف المستقبل ونوجهه ، نرى ان فتح الباب الواسع للاجتهاد يقدم العديد من « السيناريوهات » السمحة للصراط المستقيم ، بما يسمح لنا بالاختيار من بين « المستقبلات البديلة » لأن الأصل فى كل الأمور أنها حلال ، ما لم ينص على

العكس ، وهو محدد ساحته ضئيلة بالمقارنة بمساحة الحلال شديدة الرحابة ، ولا يكتفى بذلك ، بل يوضح لنا بالاضافة إلى « سيناريوهات السلامة » ، سيناريوهات الطريق المعوج ، وسمها ان شئن سيناريوهات الندامة . ولأهمية الاجتهاد فقد ادخر الله أجراً لمن اجتهد واخطأ ، وضاعفه للمصيب ، فأى دعوة لصنع المستقبل تفوق ذلك ؟ أما سيناريوهات السلامة ، فتنبنى على أكبر دعوة عرفتها البشرية للعلم والعمل ، والعلم هنا يأتى بمعناه الشامل ، الذى تحاول البشرية اليوم ان تبحث له عن النظريات الموحدة . وتطالبنا المستقبلية الإسلامية بكل ما هو وارد فى مستقبلية اليوم : التعقل قبل التوكل ـ الشورى ـ سؤال أهل الذكر والالتجاء إلى أهل الحل والعقد (ألا يبهرنا ذلك ونحن نعود إلى الدراسات المستقبلية فنجد المقابلات الحديثة ؟ أم يجب أن يم ذلك تحت إسم « دلفى » ؟ ليكون أكثر علمية ؟) . كما يتبنى المشروع الإسلامى قبولاً واضحاً بالتعددية ، فالله قد خلقنا شعوباً وقبائل ، وكان قادراً على ان يوحد أفكارنا وعقائدنا ، وطالبنا ان نساوى فيما بيننا ، حيث لا يفضل أحدنا الآخر الا بالتقوى . وحديث المنهج يطول ، وكله مستقبلى . . . مستقبلى . ولنختمه بحمى « التخصيص » ، التى يدعو إليها الجميع ويحاولون كبح جماح تحولها إلى الاحتكار ، ألم يشجع الإسلام الملكية الخاصة ، التى يحسن توظيفها الاجتماعى ، ويرفض الاحتكار ، سواء مارسه الأفراد أو الحكومات أو الشركات عابرة القارات ؟!!!

ـ ويمكن بالنسبة للآفاق المنبنية على الواقع المعاصر ، أن نذكر الانتشار الديموجرافى الكبير (مثل المسلمون ١٨٪ من سكان العالم عام ١٩٨٠ ،

وسيمثلون ٣١٪ عام ٢٠٢٥ و ٤٣٪ عام ٢١٢٥ ، حيث سيصبح الإسلام طبقاً لهذه التقديرات أهم تيار دينى فى العالم) . وبالاضافة إلى الطاقة البشرية فان الموارد والثروات الطبيعية ، ومواقع الانتشار الجغرافى المركزية والمنتشرة خارج الحدود الجيوبوليتيكية للعالم الإسلامى ، فى أوروبا وأمريكا وغيرهما، تسمح لأبناء هذا المشروع الحضارى بالمشاركة الجادة فى صنع مستقبل العالم ، والالتحام بكل البشر دون خوف من العزلة أو الذوبان . ختاماً ، لقد سبق ان قدمت لكم « هويتى » ، بأننى من عامة المسلمين . ورغم اننى عند كلمتى تماماً ، الا اننى أود لو اعتبرتمونى « مسلماً مستقبلياً ، ذلك ان الايمان بأن « المستقبل للإسلام » ، لن يتأتى الا إذا تعلم المسلمون كيف يكونون مستقبليين !!!

٣ ـ الدين والعلم :

فصل المقال فى التجافى والوصال ؟!!!

من يريد أن يلتحم بقضايا مجتمعه ويشارك فى صياغة مستقبله ، بل وفى بناء أجياله المقبلة إذا كان معلماً ومشتغلاً بالعلم ، لا بد له وأن يكون صاحب موقف واضح تجاه القوى المحركة والمحفزة لطاقات هذا المجتمع . ولأن مجتمعنا متدين بطبيعته وغير رافض للعلم بثقافته ، فمن الضرورى أن نفيد بالطاقة الإيجابية (الخلاقة والأخلاقية) للتدين ، وأن نحول عدم الرفض بالنسبة للعلم إلى قبول وحماسة وإيمان . ومن هنا تأتى أهمية التعرض لموضوع العلاقة بين الدين والعلم فى هذا الكتاب . وعموماً ، فالعلاقة المذكورة مثارة الآن ـ ولو لأسباب مختلفة ـ فى غالبية المجتمعات الأخرى . لكننى أعتقد أن « المثقف العضوى » الفاعل فى المجتمعات الغربية المتقدمة مثلاً ، قد يستطيع القيام بدوره باطمئنان دون ضرورة إتخاذ موقف محدد من هذه العلاقة ، بدرجة أزيد بكثير عما يستطيعه مثيله فى مجتمعاتنا . والسبب بسيط : إننا نحتاج أن نحرك الموقف من العلم ، مستخدمين كل عناصر الماضى والحاضر والمستقبل ، التى تظهر مشروعية هذا التحريك وضرورته . أما فى الغرب ، فالموقف متحرك فعلاً ، لدرجة جعلت القضية تدخل فى نطاق التوجيه والتخوف من شدة الحركة ، وهى كما نرى مسألة

تختلف كثيراً عن البحث عن قوى الدفع والتحريك . والخلاصة ، أن مجتمعنا ـ بكل ملامحه فينا وملامحنا فيه ـ يحتاج إلى إيمان بالعلم نابع من الإيمان بأن الدين يدعو للعلم دون الاكتفاء بإثبات عدم التناقض معه .

● وللوهلة الأولى ، قد يبدو هذا الأمر سهلاً ، وقد تبدو هذه السهولة المتخيلة مبررة ، فالإسلام يتضمن أكبر دعوة عرفتها البشرية للعلم ـ هذه حقيقة لا أملّ من تكرارها . وحاجة المسلمين اليوم إلى الأخذ بأسباب العلم ، بعد طول غياب عن ساحته ، لا تحتاج إلى دليل . وحيثما يوجد صالح المسلمين ، فثمة شرع الله . إذن ، فالإيمان بالعلم يجب أن يكون جزءاً لا يتجزأ من إيمان المسلم المعاصر . لكن التفاعلات المجتمعية المعقدة لا تأبه كثيراً بهذا التسلسل المنطقى ، فكثيراً ما تأتى الرياح بما لا تشتهى السفن . لقد صاحب التخلف العلمى تخلف فى الموقف الثقافى من العلم ، حتى تضاءل الطلب المجتمعى عليه بشكل حقيقى ، بصرف النظر عن شيوع « الحديث الببغائى » عنه بمناسبة وبلا مناسبة . هذا فى الوقت الذى صار التقدم العلمى فيه ، المقياس الأول للقوة والمنعة ، والقدرة على التطوير والتغيير . وكانت المحصلة الطبيعية لذلك ظهور المواقف المتطرفة فى التعبير عن الإيمان بالعلم أو رفضه ، على حد سواء ، غذى الإتجاه الأول ، البريق الكبير الذى اكتسبته النزعة المادية ، وغذى الإتجاه الثانى « بعض » الإتجاهات السلفية والصوفية . وأثرت كل أشكال التطرف سلبياً على العلاقة السوية بين الدين والعلم . ألم أقل لكم أن الأمر ليس بهذه البساطة ؟ ومع ذلك ، فثقافتى الشعبية تدفعنى إلى تكرار مثل أو من به تماماً : كل عقدة ولها حلاّل !!! والحل هنا يجب أن يكون ثقافياً

/ عملياً : بالتصحيح الفكرى للعلاقة بين الدين والعلم على المستوى الثقافى ، وبدفع آليات الإنجاز العلمى المرتبط بحاجات المجتمع على المستوى العملى ، بحيث يتواكب تصحيح المفاهيم ، مع الحفز العملى للمطلب المجتمعى للعلم . ولقد تحدثنا فى الباب الثالث عن المستوى العملى الخاص بمحاولة العودة إلى العطاء الجاد ، وحديثنا هنا عن المستوى الثقافى .

● والواقع أن الجهود الرامية إلى إتخاذ الموقف الثقافى السليم ، بالنسبة للعلاقة بين العلم والدين ، تتعرض للمراجعة بشكل عام ، لأسباب سيأتى ذكرها . ومن منطلق قناعتى بأن المرء عليه أن يبدأ بنفسه أولاً ، أقرر أننى أود مراجعة ما جاء فى مقالى عن القرآن والعلم ـ مراجعة لا تراجع ، فالمراجعة موقف موضوعى يتسم بالعلمية والرغبة فى التطوير والتصحيح . أما التراجع فموقف سلبى ، لا يحتمل الإستمرار ، وإن كان مطلوباً فى بعض الأحيان بدلاً من الإستمرار فى الخطأ . إن مراجعتى تنبع أساساً من أننى لم أعد مقتنعاً بما دعوت إليه منذ أكثر من عشرة سنوات ، بالنسبة للبحث عن نظرية « للإيمان العلمى » تواجه نظرية « الإلحاد العلمى » . إننى أدرك الآن جيداً ، وبدرجة تجعلنى أتعجب من عدم إدراك ذلك فى حينه ، أن عنصر الخطأ فى النظريتين واحدٌ ، رغم إختلاف الهدف . هذا العنصر يتلخص فى محاولة إستخدام « المنهج العلمى » خارج الحدود المؤهل للعمل فى إطارها . إن العلم يتقدم بالتصحيح والمراجعة ، ويقبل ـ كما ذكرنا ـ الإحتمالية وعدم التيقن ، ولا يمكن أن « نُنَظِّر » للإيمان بمنهجه . حقيقة أن الإيمان يزيد وينقص ، لكن ذلك يتم بناء على مدى إلتزام المرء بالمنهج الدينى . إنهما منهجان تتكامل بهما

حياة الإنسان ، ولا مشكلة فى الجمع بينهما عند أتباع كتاب تزيد فيه آيات الدعوة إلى العلم على آيات العبادات ، ودين يعتبر طلب العلم نفسه عبادة .

● ننتقل من هذه المراجعة الذاتية إلى ما يذكر عن أسباب المراجعة العامة ، التى يدور الحوار حولها الآن ، وهى ثلاثة أسباب نوجزها فيما يلى* :

أولاً : الآثار المجتمعية والأخلاقية الهائلة ـ المتحققة والمتوقعة ـ الناجمة عن تطبيق التقنيات الحديثة للهندسة الوراثية ونقل الأنسجة والأعضاء ، وكذلك ما سمى بثورة التكاثر . لقد تعرضت لهذه النقطة بوضوح فى مقالى القديم ، وما زالت موضع حوار ساخن . ولعل الهندسة الوراثية بالذات ، بما تحدثه من « تطور إصطناعى » artificial evolution نتيجة نقل الجينات بين كائنات شديدة الإختلاف والتباعد ، قد أثرت بالسلب على الجدال التقليدى القديم ، الذى كان يثيره أعداء « نظرية التطور » ممن يسمون أنفسهم بالخلقويين creationists للتخفى تحت ستار الدين . هذا الجدال قد إزدهر فى أمريكا بالذات فى عقد الثمانينات ، ووصل إلى المحاكم عندما تعرض لمسألة تدريس هذه النظرية فى المدارس ، لكن المحكمة العليا إنتصرت للمبدأ الذى إستقر عليه نظام التعليم الأمريكى ، بابعاد الخلافات الدينية والطائفية عن التدخل فى المناهج الدراسية . إن نظرية التطور تراجع نفسها و « تتطور » باستخدام المنهج العلمى ، ومن الهزل أن نكرس جهودنا لمهاجمة نظرية تحاول تفسير تاريخ الكائنات الحية على الأرض عن طريق التطور الطبيعى ، بينما إستطاع

* أعتذر عن هذا الإيجاز الشديد ، الذى أرجو تعويضه بذكر العديد من المراجع ، لمن يريد الاستزادة .

الإنسان فعلاً أن يحدث أشكالاً من التطور الاصطناعى فى معامله . . . أليس من الأجدى أن نناقش الدستور الأخلاقى والتوظيف المجتمعى لهذا الإنجاز ، من كافة النواحى ، بما فى ذلك الناحية الدينية ؟

ثانياً ـ ظهر فى السنوات الأخيرة إتجاه يقول بأن العلم قد تطور بالصورة التى جعلته يقترب من تناول الأسئلة ، التى كانت تعالج قديماً فى نطاق الدين . مثل هذا الحديث يكثر مقترناً بالفيزياء والفلك بالذات ، وإن كان يمتد إلى البيولوجيا والبيولوجيا الجزيئية . إن اكتشاف التباين الحرارى فى خلفية الكون، بأجهزة تلتقط صورها من مواقع تمكننا من الإقتراب من تصور « البداية » ، وما أدى إليه هذا الإكتشاف من تأييد إضافى لنظرية الإنفجار الكبير ، يصب فى هذا الإتجاه الحديث . كذلك ، فإن التقدم الكبير فى فهم سلوك المكونات الدقيقة فى الذرات ، وعلاقاتها ببعضها قاد إلى الحديث عن التصميم والغائية فى « هندسة الكون » ، بل وعن كون ظهور الحياة نفسها كان مكتوباً فى شفرة الكون . لقد حاولت بعض التحليلات الفكرية ، المعتمدة على ميكانيكا الكم، أن تربط بين الفيزيقا والميتافيزيقا ، وبين العلم والروح . وقدم مبدأ عدم التيقن uncertainty principle ، المكتشف فى العشرينات ، والذى ينص على عدم إمكانية القياس الدقيق لكل من موضع وسرعة الجسيمات الصغيرة (كالإلكترونات والفوتونات) معاً فى نفس الوقت ، العديد من الإضافات إلى الحوار بين العلم والدين . لقد ساعد على التخلص من التصور الميكانيكى والحتمية فى الفيزياء الحديثة ، وأرسى مبدأ التكاملية بين مكونات النظام ، رغم عدم إمكانية الجمع بين قياساتها الدقيقة فى نفس الوقت ، بالإضافة إلى

إحتمال إنتقال علاقات التكامل من مستوى إلى آخر بشكل متشابك ، يتناسب مع تعقد الظواهر المدروسة (كالعلاقة بين أصل الإنسان وطبيعته مثلاً) . وهذا يقودنا إلى ما يثار الآن عن النتائج المتحصل عليها بالنسبة لميل النظم الفيزيائية إلى الإنتظام self assembly والتشابك complexity، مما دفع البعض إلى الحديث عن قانون فيزيائى أساسى ينتظر الكشف عنه . وكالعادة، يتطرف البعض مؤكداً أن العلم قد صار الطريقة الأكثر يقينية إلى الخالق . ولسنا فى حاجة إلى أن نقول ، أن « الدين الحق » ما هو إلا رسالة من الخالق إلينا ، وليست هنالك طريقة لمعرفته إلا فهمها و إتباعها .

ثالثاً ـ يربط البعض بين إنتشار الأصولية Fundamentalism ، وسقوط الكتلة السياسية التى كانت تتبنى الفلسفة المادية « رسمياً » ، وليس فقط على مستوى الحرية الفكرية للأفراد والجماعات ، وبين « تحديث الحديث» عن العلاقة بين الدين والعلم . ويهمنا هنا ما يقال عن الأصولية الإسلامية ، والإتجاهات المطروحة فى إطارها لأسلمة المعرفة وأسلمة العلوم بالذات . لقد كان من ضمن بدايات هذا الإتجاه البحث عن الإعجاز العلمى فى القرآن الكريم والسنة الشريفة ، وهو الأمر الذى دعوت فى مقالى القديم ـ وما زلت أدعو بشدة ـ إلى أن نضع له الضوابط الكافية ، حتى لا يتحول لدى البعض إلى بديل لتحصيل « العلم النافع » ، الذى هو دعوة القرآن الكبرى . وأظن أن غالبية المشاركين فى هذه الأعمال يوافقوننى على ذلك . كما أرجو أن يزداد الإهتمام « بتاريخ العلوم » عند العرب والمسلمين ، لأنه جزء أصيل من « كرامتنا الحضارية » ، وتأكيد على أن ثقافتنا منتجة أصيلة للعلم ، رغم أن

أبناءها اليوم صـاروا فى وضع المستهلكين (بكسر اللام مـرة ، وفتحها مـرة أخرى !!!) .

أما أسلمة المعرفة والعلوم ، فقد مثلتا توسعاً مؤسساتياً ، أنشئت من أجله المراكز وصدرت المطبوعات . ولا أنوى فى هذه العجالة أن أقدم تقييماً أو تقويماً لهما ، ولكنى أعبر عن رأى الكثيرين إذا ما طالبت الداعين لهما بالمزيد من ضبط المصطلح وتفصيل المنهج ، بالنسبة للعلوم الإنسانية والعلوم الطبيعية على حد سواء . وإذ أكرر أننى لا أقدم حكماً على هذين الإتجاهين الحديثين نسبياً ، إلا إننى أؤكد أن الدعوة إلى مراجعة عربية إسلامية للعلوم الإنسانية ، حتى لا نظل ندور فى إطار المصطلح والمنهج الغربى وحده ، قديمة ومبررة « ثقافياً » إلى حدٍ كبير . كما أن الدعوة إلى أن يكون توظيف منجزات العلوم الطبيعية فى إطار النظام القيمى والأخلاقى لثقافتنا ، المستندة إلى رسالة الإسلام ، معروفة ومفهومة ضمناً من دساتير الكثير من الدول الإسلامية .

● والآن ، بعد إستعراض دواعى مراجعة العلاقة بين الدين والعلم ، أود أن أعرض التصور الآتى للموقف الحالى بالنسبة للعلاقة المذكورة ، وهو تصور مفتوح للإضافة ومنفتح للمراجعة فى كل وقت . ويركز فى أغلبه على الأمة العربية والعالم الإسلامى بشكل خاص . يتلخص هذا التصور فى النقاط التالية :

ـ على مستوى الجدال الفلسفى ، قلت مساحة التجافى بين العلم والدين ،

لإستيعاب الإختلاف المنهجى ، ولرسوخ الإقتناع بحرية الإعتقاد بين المشتغلين بالعلم . ويرى البعض أيضاً أن تهاوى النظم ، التى قامت على « الإلحاد العلمى » ، يسهم فى إنحسار هذه المساحة . حقيقة أن نسبة كبيرة من العلماء فى الغرب تؤمن بنظام قيمى ، مستمد من نزعة إنسانية ليست دينية بالضرورة ، ومنهم من توصف علاقته بالأسئلة الكبرى فى الكون ، بأنها فى إطار « ما وراء المادية beyonel materialism » إلا أن أغلبهم يكنّ إحتراماً عميقاً للعقائد الأخرى . ولا ننسى أن من كبار العلماء فى مختلف المجالات من له عقيدة دينية قوية . وكثيراً ما يشترك فى الإقتناع بنظرية معينة (كنظرية التطور مثلاً) علماء مؤمنون ولا أدريون agnostics ، ويساق ذلك للتدليل على عدم التعارض بين العقيدة الدينية والقناعات العلمية . إلا أن هذه الأمثلة ، وإن كانت تدل على تهميش وإستبعاد نموذج النزاع conflict model ، إلا إنها لا تؤدى إلا إلى نموذج إنفصالى separation model، يعتمد على فصل القنوات ـ بصورة أو بأخرى ـ بين العلم والدين .

ـ أظن أن حاجتنا الملحة للتقدم العلمى تدفعنا إلى إستلهام ثقافتنا العربية الإسلامية ، فى تقديم نموذج تفاعلى interactive model ، يعتمد فيه الوصال بين الدين والعلم على دعوة الإسلام الصريحة لطلب العلم بكل فروعه وأشكاله ، والمكانة العالية التى يحص بها طالبيه كلهم . لذلك أتمنى ألا نعرض هذا النموذج للخلافات الضيقة ، وللمصالح الأكثر ضيقاً ، التى تفرق ولا تجمع ، وتعزلنا عن العصر ولا تصلنا به .

ـ ومع حاجتنا للتعاون مع « الآخر » المتقدم علمياً ، لتحصيل ما يلزمنا من

المعارف والعلوم الحديثة ، علينا أن نقدم له بشكل غير تصادمى مفهوم « العلم النافع » الذى تعرفه عقيدتنا . على أن يتم ذلك بعيداً عن قرع طبول « المواجهة » القريبة بين الإسلام والغرب ، التى صارت جزءاً من « البزنس » الخاص بالبعض عندنا وعندهم .

ـ إن استشراف مستقبل العلاقة بين الدين والعلم ، يؤكد أنه لا مكان للغلو بكل أشكاله المتطرفة ، لأنه يؤدى إلى عدم توازن العلاقة المذكورة ويعرضها للخطر . إن من يغلو بالقول بأن العلم قد صار الطريق الأكثر يقينية إلى الله ، إنما يتخذ العلم ديناً له . ولقد رصدنا فى موضع سابق هذا الإتجاه الغربى ورفضناه . ولكن ، على الجانب الآخر ، يجب أن نعترف أن المغالاة فى البحث عن الإعجاز العلمى فى القرآن ، لا يصح أن تكون بديلاً عن تحصيل العلوم . لقد طالبت منذ سنوات بوضع الضوابط لذلك ، وأرجو ألا يكون الإهتمام بتنظيم الأعمال الخاصة بالإعجاز العلمى والأسلمة والإنفاق عليها ، على حساب الجهد الكبير المطلوب لتجسير فجوة التخلف العلمى ، التى نعانى منها .

ـ علينا أن ندرس إلى أى مدى كانت لحظات التقدم والازدهار العلمى فى تاريخنا ، مرتبطة بالتعبير السليم عن النموذج التفاعلى للعلاقة بين العلم والدين . وهذه النقطة ترتبط بالطبع بما طالبت به فى موضع سابق من إهتمام بدراسة تاريخ العلوم ، وتصحيح الوضع الخاص بانجازاتنا فيه .

ـ إذا كان طلب العلم فريضة ، فلم يشرع الله فريضة إلا لخير البشر .

لذلك ، علينا أن ندرك ما يجلبه التقدم العلمى من عزة ومَنَعة للمسلمين ، حتى نجعله على قائمة إهتماماتنا فى التسعينات . ومن أجل هذا الهدف ، علينا ألا نضع القيود الوهمية أمام الإبداع فى كل المجالات العلمية ، بل من الواجب أن نوفر الإمكانيات والتسهيلات لذلك .

ـ وآخر ما أود أن أورده بالنسبة للعلاقة بين الدين والعلم ، الإهتمام بالبعد المستقبلى للمشروع الإسلامى العام . وهو ما فصلته فى المقال الثانى من هذا الفصل ، عند الحديث عن علاقة الإسلام « بالدراسات المستقبلية » . علينا أن نوضح أن هذا المشروع ، الذى جاء لكل البشر ، قادر بطبيعته على التعايش السلمى مع كل البشر ؛ مسلمين وغير مسلمين . وقادر أيضاً ، وبشكل يثير الفخر ، على إستيعاب كل المنجزات العلمية والمعارف الحديثة ، مع مدِّها بالإطار الأخلاقى ، الذى يصنع منها « علماً نافعاً » ، كما ذكرنا من قبل .

والخلاصة ، التى أود أن أنهى بها المقال ، هى أن رسالة السماء لهذه الأمة « تشريف » ، ودعوتها إلى العلم « تكليف » . . . لذا ، فلا مكان بينها للتجافى ، ولكن للوصال والإتصال ؟!!